مناهج التفسير
بين
القديم والحديث

بقلم
أ.د
سيد مرسي ابراهيم البيومي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

مناهج التفسير بين القديم والحديث

بقلم
أ . د
سيد مرسى إبراهيم البيومى
أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم

رتب هذا البحث - بتوفيق الله تعالى - على تمهيد وأربعة فصول وخاتمة :

تمهيد (فى معنى التفسير) وفضله والحاجة إليه) .

يطلق علماء اللغة العربية كلمة (التفسير) على معنى الإيضاح والتبيين مطلقا ، قال تعالى فى سورة الفرقان : (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق ، وأحسن تفسيرا) : أى بيانا وتفصيلا .

أما التفسير فى إصطلاح المفسرين ، فهو وإن كان فيه معنى الإيضاح والتبيين ، كما ذكر اللغويون ، إلا أن المفسرين يقيدون هذا الإيضاح بشىء معين ، وهو القرآن الكريم ، وقد عرفوه بتعاريف كثيرة ، مختلفة من ناحية الألفاظ ، متحدة من جهة المعنى والهدف ، ومن هذا المنطلق يمكن تعريف علم التفسير فى إصطلاح المفسرين بأنه علم يبحث فيه عن مراد الله تعالى فى القرآن الكريم بقدر الطاقه البشرية .

وهذا القيد : (بقدر الطاقة البشرية) لابد منه فى التعريف ، لأن البشر ليس فى مقدورهم أن يعرفوا مراد الله تعالى على وجه الحقيقة ، وإنما يعرفون مراد الله تعالى بقدر طاقتهم كبشر .

وقد يقال : العلوم كلها مشتملة على الكشف والتبيين والإيضاح فما السر فى اختصاص علم التفسير بهذا الاسم عند المفسرين ؟

والجواب : اختص علم التفسير بهذا الاسم لأنه لجلالة قدره ، واحتياجه إلى زيادة الاستعداد ، وقصده إلى تبيين مراد الله تعالى من كلامه بقدر الطاقة البشرية - لما كان الأمر كذلك كان هـذا العلم كأنه هو التفسير وحده دون ماعداه(١) .

وهذا إجمال يحتاج إلى توضيح وتفصيل فأقول وبالله تعالى التوفيق :

أما أن قدره جليل فلأن أشرف صناعة يتعاطاها الإنسان هى تفسير القرآن الكريم وذلك لأن الصناعة تشرف إما بموضوعها ، وإما بالغرض منها ، وإما لشدة الحاجة إليها ، فإذا طبقنا ذلك على صناعة التفسير فإنها تكون أشرف الصناعات على الإطلاق ، لأنها لاتشرف بواحد من الأمور الثلاثة فقط ، وإنما تشرف بهذه الأمور كلها .

فالتفسير أشرف صناعة لسمو موضوعه وهو القرآن الكريم ولأن الغرض منه الاعتصام بالعروة الوثقى ، والوصـول إلى السعادة فى الدنيا والآخرة ، ولشدة الحاجة إليه ، لأن نهضة الأمم ورقيها فى الدنيا وسعادتها فى الآخرة متوقف على العمل بما فى الكتاب والسنة من التعاليم الإلهية ، والعمل بما فى القرآن الكريم لايتأتى إلا إذا فهمت نصوصه حق الفهم ، وذلك عن طريق علم التفسير وإن السر فى نجاح سلفنا الصالح مع قلة العدد وضيق ذات اليد هو توفرهم على دراسة الكتاب والسنة والعمل بهما على الرغم من ملكاتهم

(١) الإتقان فى علوم القرآن ، للامام جلال الدين السيوطى - رحمه الله تعالى .

السليمة ومواهبهم الفطرية ، إذن فنحن الآن فى أشـد الحاجة إلى دراسة الكتاب والسنة والعمل بهما فقد فسدت ملكة البيان العربى وضاعت خصائص اللغه العربية حتى من سلائل العرب أنفسهم .

ومن فوائد التفسير : التذكير والاعتبار ، ومعرفة هداية الله تعالى فى العقائد والتشريعات والأخلاق للنفوذ بسعادة الدارين ، ومن فوائده معرفة أوجه الإعجاز فى القرآن الكريم للوصول بذلك إلى الإيمان برسالة النبى صلى الله عليه وسلم .

وأما احتياج التفسير إلى زيادة الاستعداد، فلأن الإنسان لايكون مفسرا إلا إذا تحققت فيه شروط معينة منها ما يأتى :

١ - صحة الاعتقاد والمقصد، ولزوم سنة الدين بامتثال الأوامر واجتناب النواهى .

٢ - الإلمام والمعرفة بالعلوم التى يتوقف عليها التفسير وهى التى تسمى بعلوم القرآن ، أو بعلوم التفسير ، وذلك كعلم اللغة ، والنحو والتصريف ، والاشتقاق ، وعلوم البلاغة الثلاثة : (البيان ، والمعانى ، والبديع) وعلم القراءات ، وأصول الدين ، (علم التوحيد) وأصول الفقه ، وأسباب النزول ، والقصص القرآنى ، والناسخ والمنسوخ ، والفقه ، وعلم الحديث ، وتحصيل الأسباب التى تؤدى إلى علم الموهبة، وهو العلم اللدنى ، والمقصود به : العلم الذى لايؤخذ من الكتب وإنما يؤخذ بواسطة الإلهام الربانى . وعليه قوله تعالى : (وعلمناه من لدنا علما) ومن ذلك ما ورد فى قصة سيدنا موسى عليه السلام ، والعبد الصالح رضى الله تعالى عنه فى سورة الكهف ، ويشير إلى هذا العلم أيضا قوله صلى الله عليه وسلم:(من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم).

٣ - الابتعاد عن الجهل والضلال وتجنب الأمور التى تؤدى إلى الخطأ وتجعل المفسر فى عداد المفسرين بالرأى المذموم .

٤ - أن يكون يقظا فطنا ، عالما بقانون الترجيح بين الآراء .

٥ - مراعاة القواعد التي يتوقف عليها المنهج الأمثل للتفسير .

٦ - أن يطلب المعنى أولا من كتاب الله تعالى ، فإن لم يجد المعنى في القرآن طلبه من السنة مما نسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن أعجزه ذلك رجع إلى أقوال (الصحابه رضى الله تعالى عنهم فإن عجز عن ذلك رجع إلى أقوال ..)التابعين رضى الله تعالى عنهم ، فإن عجز عن ذلك كله فعليه أن يعمل عقله ويجتهد وسعه في الكشف عن مراد الله تعالى مع مراعاة شروط الاجتهاد .

إلى غير ذلك من الشروط(١) .

وبذلك فقد عرفنا السر في اختصاص علم التفسير بهذا الاسم عند المفسرين.

وينبغي أن يعلم : أن المقصود بعلم التفسير الجدير بهذا الاسم وفيه يساق الحديث إذا تحدثنا عن فضله والحاجة اليه هو التفسير الذي يكون الهدف الأعلى منه تجلية هدايات القرآن الكريم وحكمة الله سبحانه وتعالى فيما شرع للناس في هذا القرآن ، على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ، ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدى الله تعالى .

أما توضيح القرآن الكريم بالكلام الذي لا يتجاوز حل الألفاظ وإعراب الجمل ، وبيان القواعد الصرفية والاشتقاقية ، وشرح مايحتويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية ، وإشارات فنية ؛ فهذا النوع أقرب الى التطبيقات العربية منه الى التفسير ، وبيان مراد الله تعالى من هداياته(٢) قال الأستاذ

(١) راجع هذه الشروط بالتفصيل في (البرهان في علوم القرآن) للامام الزركشي ، وفي (الإتقان في علوم القرآن) للحافظ جلال الدين السيوطي وفي (تفسير فاتحة الكتاب) للأستاذ الإمام محمد عبده ، وقد فصلت القول في شروط المفسر في كتابي (دراسات في علوم القرآن الكريم) .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد العظيم الزرقاني رحمه الله تعالى .

الإمام محمد عبده - رحمه الله تعالى : « وهذا النوع لا ينبغي أن يسمى تفسيرا ، وإنما هو ضرب من التمرين في الفنون ، كالنحو والمعاني وغيرهما »(١) .

* * *

مما لاشك فيه : أن القرآن الكريم دعـــوة عالمية ، وقد نزل مشتملا على العقائد ، والتشريعات والأخلاق ، وكان نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم منجما ومفرقا بحسب الحوادث والوقائع في نيف وعشرين سنة ، ولا يمكن تطبيق المبادىء القرآنية إلا إذا فهمت حق الفهم وكشفت أسرارها ومراميها ، لذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم المفسر الأول للقرآن الكريم بسنته ، وصدق الله العظيم حيث يقول في سورة النحل : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم) .

وقد ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يفسر القرآن الكريم حتى لحق بالرفيق الأعلى .

وقـــد ظل التفسير المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين - ظل هذا التفسير يتناقل شفهيا ، حتى جاء عهد التدوين ولما جاء عهد التدوين ، دون علم الحديث ، وكان التفسير بابا من الأبواب التي اشتمل عليها الحديث ، وبذلك فقد دون التفسير مع الحديث ولم يفرد للتفسير حينئذ كتب خاصة مستقلة ، بل كان تابعا للحديث كما ذكرنا .

ولكن خلال نهضة تدوين العلوم في أواخر عهد الدولة الأموية وأول عهد العباسيين ، انفصل التفسير عن الحديث ، وأصبح علما مستقلا ، ووضع التفسير لكل سورة من سور القرآن الكريم ولكل آية من آياته ، وجاء على حسب ترتيب المصحف .

(١) تفسير فاتحة الكتاب لفضيلة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده - رحمه الله تعالى

ظل علم التفسير يزداد وتختلف مناهجه تبعاً لاختلاف ثقافات المفسرين واتجاهاتهم وتفوقهم فى العلوم التى تخصصوا فيها ، حتى أصبح بالصورة التى نراه عليها اليوم ، وهذا إجمال نفصله إن شاء الله تعالى فأقول وبالله تعالى التوفيق :

الفصل الأول : فى أنواع (مناهج التفسير) :

اطلعت - بتوفيق الله تعالى - على الكثير من مراجع التفسير فرأيت أن مناهجها[1] تتنوع على النحو التالى :

١ - المنهج الموضعى . ٢ - المنهج الموضوعى .

والمنهج الموضعى يتنوع على النحو التالى :

الأول : المنهج التحليلى .

والثانى : المنهج الإجمالى .

والمنهج التحليلى يتنوع على النحو التالى :

أولا : التفسير بالمأثور .

ثانيا : التفسير بالرأى .

والتفسير بالرأى يتنوع كما يأتى :

الأول : التفسير بالرأى المطلق : أى المطلق عن التقييد يعنى التفسير الذى لا يغلب عليه طابع معين .

---

(١) المناهج جمع منهج والمقصود به الأسلوب والطريقة الكلامية والكيفية التى سلكها المفسر فى تأليف كتابه فى تفسير القرآن الكريم ، وبعبارة أخرى المنهج هو المذهب الكلامى القائم على خصائص ومميزات الذى انفرد به كل مفسر فى تأدية المعنى والمقاصد من الكلام .

الثانى : التفسير بالرأى المقيد ، أى الذى يغلب عليه طابع رأى معين ، وهذا تحته الأنواع الآتية :

أحدها : التفسير بالرأى الذى يغلب عليه طابع الآراء والنظريات الصوفية ، ويسمى : (التفسير الصوفى) .

والتفسير الصوفى نوعان :

(ا) التفسير الصوفى النظرى .

(ب) والتفسير الصوفى الفيضى أو الإشارى أو العملى .

ثانى : أنواع التفسير بالرأى المقيد : التفسير الذى يغلب عليه طابع الآراء والمذاهب الفقهية ، ويسمى : (التفسير الفقهى) .

ثالثها : التفسير الذى يغلب عليه طابع الآراء الفلسفية ويسمى : (التفسير الفلسفى) .

رابعها : التفسير الذى يغلب عليه طابع الآراء والنظريات العلمية المستمدة من العلوم الحديثة ، ويسمى : (التفسير العلمى) .

خامسها : التفسير الذى يغلب عليه الطابع الأدبى واختيار الألفاظ الجزلة الدقيقة ، والأساليب البلاغية الفصيحة والعبارات القوية ، ويسمى : (التفسير الأدبى الاجتماعى) .

هذا ما يتعلق بالمنهج الموضعى وأنواع المناهج التى تندرج تحته .

* * *

أما المنهج الموضوعى فيتنوع على النحو التالى :

المنهج الأول : التفسير الموضوعى الكلى ، أو المطلق وهو الذى لا يتعلق بسورة معينة ، بل يتعلق بآيات الموضوع فى القرآن الكريم كله .

المنهج الثانى : التفسير الموضوعى الجزئى ، أو المقيد . وهو الذى يتعلق بموضوعات سورة معينة والتفسير الموضوعى الجزئى نوعان :

الأول : التفسير الموضوعى للسورة كلها . وهو عبارة عن تقسيم السورة إلى موضوعات ، كأن تقول سورة الأنعام تعالج موضوعات العقيدة الثلاث الألوهية ، والرسالة ، والسمعيات وكأن تقول : تشتمل سورة الفاتحة على ثلاثة موضوعات رئيسية : التوحيد ، والتشريعات ، والأخلاق فهذا تفسير موضوعى للسورة .

الثانى : التفسير الموضوعى لموضوع معين فى سورة معينة كأن تقول : الكلام على موضوع الألوهية فى سورة الأنعام وسيأتى مزيد بيان إن شاء الله تعالى .

* * *

وإليك أيها القارىء الكريم جدولا يوضح لك أنواع هذه المناهج . وأتكلم بعون الله وتوفيقه عن هذه المناهج بشىء من التفصيل فأقول وبالله تعالى التوفيق :

الفصل الثانى فى تفصيل (الكلام على المنهج الموضعى وأنواعه) :

المقصود بالتفسير الموضعى : هو بيان النصوص القرآنية الكريمة على حسب ترتيب المصحف آية بعد آية وسورة بعد سورة ولهذا سميته بالتفسير الموضعى ، لأن هذا اللون من التفسير يراعى فيه الترتيب المصحفى ، فهو خاص بالموضع أى المكان .

هذا جدول يوضح أنواع مناهج التفسير

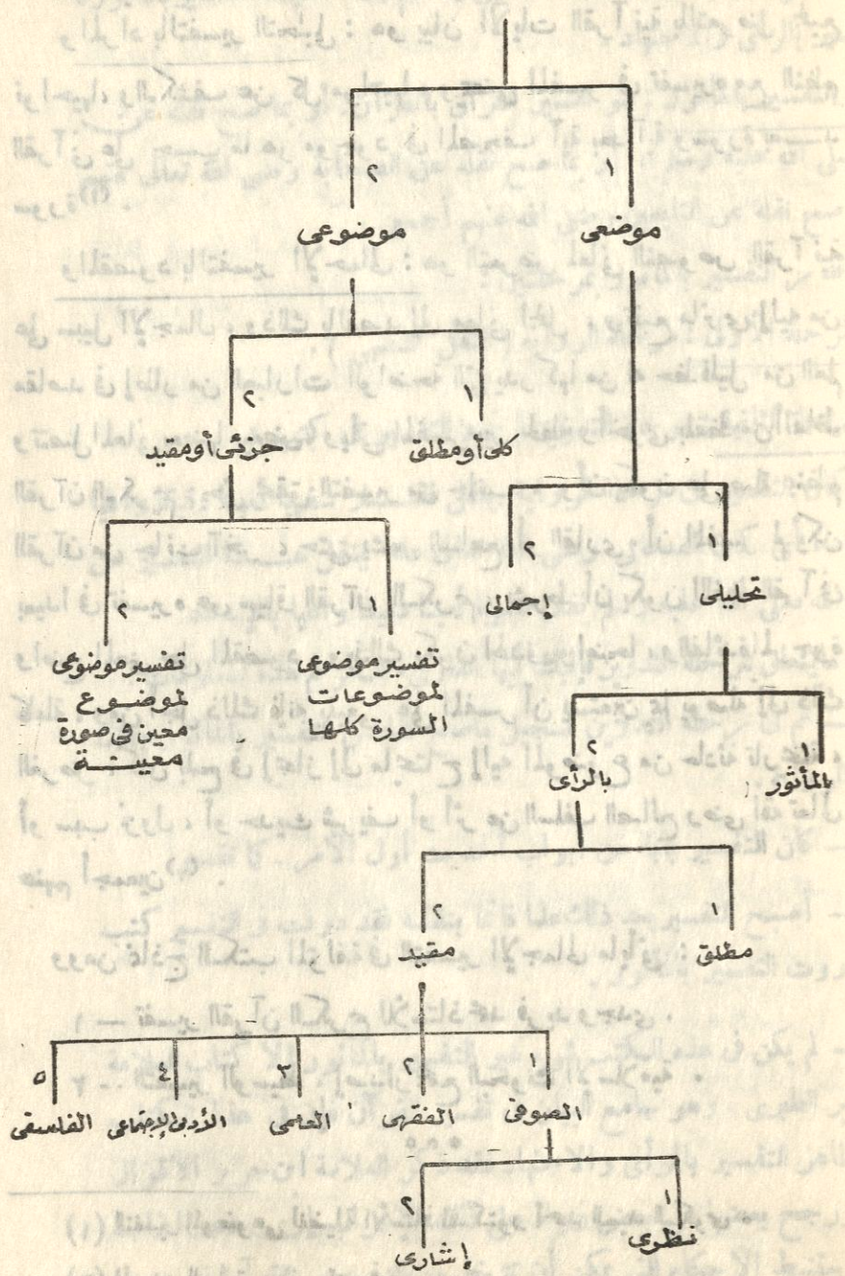

قلت فيما سبق: إن التفسير الموضعى ينقسم إلى قسمين: تحليلى وإجمالى.

والمراد بالتفسير التحليلى: هو بيان الآيات القرآنية بالتعرض لجميع نواحيها، والكشف عن كل مراميها، ويمضى المفسر فى تفسيره مع النظم القرآنى على حسب ما هو موجود فى المصحف آية بعد آية وسورة بعد سورة(١).

والمقصود بالتفسير الإجمالى: هو التعرض لمعانى النصوص القرآنية على سبيل الإجمال، وذلك بالقصد إلى معانى الجمل، وتتبع ماترمى إليه من مقاصد فى إطار من العبارات الواضحة التى يدركها من له حظ قليل من العلم وتتصل المعانى بعضها ببعض، ويأتى المفسر بين لحظة وأخرى بلفظ من ألفاظ القرآن الكريم حتى يحقق التفسير من جانب، وأن يكون على صلة بنظم القرآن من جانب آخر، حتى يشعر السامع أو القارىء أن المفسر لم يكن بعيدا فى تفسيره عن سياق القرآن الكريم، بشرط أن يكون اللفظ القرآنى واضح المعنى جلى المقصود، وبذلك يكون الهدف واضحا، والفائدة المرجوة كاملة، ومن أجل ذلك فإنه ينبغى على المفسر أن يستعين بما يوصله إلى ذلك الغرض، كأن يلمح فى إيجاز إلى مايحتاج إليه الموضوع من حادثة تاريخية، أو سبب نزول، أو حديث شريف أو أثر عن السلف الصالح رضى الله تعالى عنهم أجمعين(٢).

ومن نماذج الكتب المؤلفة فى التفسير الإجمالى مايأتى:

١ — تفسير القرآن الكريم للأستاذ محمد فريد وجدى.

٢ — التفسير الوسيط، إصدار مجمع البحوث الإسلامية.

* * *

(١) التفسير الموضوعى لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومى.

(٢) المصدر السابق ببعض تصرف.

قلت فيما تقدم: إن التفسير التحليلى ينقسم إلى قسمين التفسير بالمأثور، والتفسير بالرأى والاجتهاد.

والتفسير بالمأثور: هو تفسير القرآن بالقرآن. أو بما صح نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم، أو بما صح نقله عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم أو بما صح نقله عن التابعين رضى الله عنهم أجمعين.

وقد مر التفسير بالمأثور بمرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة الرواية (النقل الشفهى).

المرحلة الثانية: مرحلة التدوين (جمع التفسير فى كتب).

وكان التفسير فى مرحلة الرواية ينقل نقلا شفهيا أمينا دقيقا واعيا بالإسناد، أى كان الصحابى رضى الله تعالى عنه ينقل هذا التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقلا شفهيا أمينا دقيقا واعيا بالإسناد.

أما مايتعلق بمرحلة التدوين فإليك أيها القارىء الكريم هذه المعلومات.

١ — تم فى مرحلة التدوين تسجيل ماصح نقله من التفسير بالمأثور خلال مرحلة الرواية.

٢ — كان التفسير بابا من أبواب الحديث أول الأمر — كما تقدم.

٣ — أصبح التفسير بعد ذلك علما قائما بنفسه فقد دونت فى التفسير كتب مستقلة روت التفسير بالمأثور.

٤ — لم يكن فى هذه الكتب شىء غير التفسير بالمأثور إلا كتاب العلامة ابن جرير الطبرى، وهو جامع البيان فى تفسير القرآن فإن فى هذا الكتاب بعض مظاهر التفسير بالرأى والاجتهاد فقد ذكر العلامة ابن جرير الأقوال ووجها ورجح بعضها على بعض وزاد على ذلك الإعراب إن دعت الحاجة إليه، واستنبط الأحكام التى يمكن أن تؤخذ من النصوص القرآنية.

٥ — كان التفسير بالمأثور فى هذه الكتب مرويا بالإسناد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الصحابة والتابعين .

٦ — جاء بعد ذلك أناس دونوا التفسير بالمأثور دون أن يتكرروا الأسانيد وأكثروا من نقل الأقوال دون تفرقة بين الصحيح والعليل مما يحير الناظر فى هذه الكتب لا يركن لما جاء فيها لجواز أن يكون من قبيل الموضوع المختلق ، وهو كثير فى التفسير [1] .

ويقوم الطلاب الآن فى مرحلة (التخصص) و (العالمية) بكلية أصول الدين ، بتحقيق ودراسة هذه الكتب وتنقية هذه الكتب من الدخيل ، فالحمد لله رب العالمين .

* * *

ومن الكتب المدونة فى التفسير بالمأثور ما يأتى :

١ — جامع البيان فى تفسير القرآن للامام ابن جرير الطبرى المتوفى عام ٣١٠ هـ .

٢ — بحر العلوم للامام السمرقندى المتوفى سنة ٣٧٣ هـ وقيل سنة ٣٧٥ هـ

٣ — الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، للامام الثعلبى المتوفى عام ٤٢٧ هـ .

٤ — معالم التنزيل للامام البغوى المتوفى سنة ٥١٠ هـ .

٥ — المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للامام ابن عطية المتوفى سنة ٥٧٤ هـ .

(١) التفسير والمفسرون للاستاذ الدكتور محمد حسين الذهبى — رحمه الله تعالى — الجزء الأول .

٦ — الجواهر الحسان فى تفسير القرآن للامام الثعالبى المتوفى سنة ٨٧٦ هـ أو فى أواخر التى قبلها .

٧ — الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للامام السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ

٨ — لباب النقول فى أسباب النزول للإمام السيوطى .

٩ — أسباب النزول للإمام الواحدى .

١٠ — الناسخ والمنسوخ للإمام أبى جعفر النحاس .

إلى غير ذلك من الكتب .

هذا ما يتعلق بالتفسير بالمأثور .

* * *

أما التفسير بالرأى فالمقصود به : أنه تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد بعد أن يستوفى المفسر الشروط التى تحدثنا عنها فيما تقدم .

وقد نشأ هذا التفسير نتيجة لازدهار العلوم الإسلامية ، لأنه لما جاء عصر ازدهار هذه العلوم وتفوق العلماء فيها وتعددت المؤلفات تكاثرت التفاسير وتنوعت ، وبذلك نشأت مدارس التفسير المختلفة إلى جانب مدرسة التفسير بالمأثور .

ولكن ما موقف الإسلام من التفسير الاجتهادى ؟

والجواب : هناك رأيان متعارضان لعلماء الإسلام .

فمن العلماء من يرى رفض هذا اللون من التفسير ، ومن العلماء من يرى قبوله ولكل أدلته .

وإذا أردنا أن نوفق بين وجهتى النظر ، فإنى لا أقول بالقبول بإطلاق ، ولا بالرفض بإطلاق ، ولكنى أقول تارة يكون مقبولا وتارة يكون مردودا فيقبل هذا اللون من التفسير إذا توافرت الشروط المتقدمة فى المفسر ، وإذا

كان تفسيره مطابقا للقواعد والمبادىء الإسلامية ، ويكون من قبيل التفسير بالرأى بالرأى المحمود وإلا فيرفض ويرد .

فمن تهجم على مراد الله تعالى من كلامه دون توافر شروط المفسر فيه ومن خاض فيما استأثر الله تعالى بعلمـــه ، ومن سار فى تفسيره مع الهوى والاستحسان ، ومن كان تفسيره مقررا للمذهب الفاسد بأن يجعل المذهب أصلا والتفسير تابعا ، ومن فسر مع القطع بأن مراد الله تعالى كذا وكذا من غير دليل ، ومن كان تفسيره قائما على الإلحاد والزندقة - فكل هؤلاء تفسيرهم مردود مرفوض ومذموم وهؤلاء أصحاب بدعة ، وبهذا نوفق بين وجهتى النظر .

* * *

قلت فيما تقدم : التفســـير بالرأى ينقسم إلى قسمين : التقسيم بالرأى المطلق ، والتفسير بالرأى المقيد .

والمقصود بالتفسير بالرأى المطلق : هو تفسير القرآن الكريم بالرأى الذى لا يغلب عليه طابع معين من نظريات صوفية ، أو فلسفية أو آراء فقهية أو حقائق علمية أو غيرها .

ومن نماذج الكتب فى هذا اللون من التفسير ما يأتى :

١ — أنوار التنزيل وأسرار التأويل للامام البيضاوى المتوفى سنة ٦٩١ هـ .

٢ — مدارك التنزيل وأسرار التأويل للامام النسفى المتوفى سنة ٧٠١ هـ .

٣ — لباب التأويل فى معانى التنزيل للامام الخازن المتوفى سنة ٧٤١ هـ .

٤ — البحر المحيط للامام أبى حيان المتوفى سنة ٧٤٥ هـ .

٥ — غرائب القرآن ورغائب الفرقان للامام النيسابورى .

٦ — السراج المنير فى الإعانة على معرفة بعض معانى كلام ربنا الحكيم الخبير ، للامام الشربينى المتوفى سنة ٩٧٧ هـ .

٧ — تفسير الجلالين للامامين : الإمام جلال الدين المحلى المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ، والإمام جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ .

٨ — إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم الإمام أبى السعود العمادى المتوفى سنة ٩٨٢ هـ .

٩ — روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، للامام الآلوسى المتوفى سنة ١١٢٧ هـ .

إلى غير ذلك من الكتب .

* * *

والمقصود بالتفسير : بالرأى المقيد : أنه تفسير القرآن الكريم بالرأى المقيد بطابع معين ، كالطابع الصوفى ، أو الفقهى ، أو الفلسفى أو العلمى ، أو الأدبى الاجتماعى ، ومن هذا المنطلق فإن التفسير بالرأى المقيد ينقسم - كما تقدم - إلى هذه الأقسام الخمسة :

١ — التفسير الصوفى .
٢ — التفسير الفلسفى .
٣ — التفسير الفقهى .
٤ — التفسير العلمى .
٥ — التفسير الأدبى الاجتماعى .

وأتكلم بعون الله وتوفيقه على هذه المناهج بشىء من التفصيل فأقول وبالله تعالى التوفيق :

(التفسير الفقهى)

هو عبارة عن استنباط الأحكام الفقهية من النصوص القرآنية الدالة على هذه الأحكام .

والأحكام الفقهية ، هى الأحكام الشرعية الفرعية المكتسبة من أدلتها التفصيلية .

والأدلة الشرعية المتفق عليها التى تستخلص منها الأحكام الشرعية هى الكتاب ، والسنة . والاجماع ، والقياس .

وهناك أدلة أخرى مختلف فيها ، وليس فى هذا البحث الموجز مجال لتفصيل القول فى هذه المسائل ، فعلى القارىء الكريم الرجوع إلى مصادر ومراجع أصول الفقه الاسلامى .

. . .

وقد وجد التفسير الفقهى منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وظل ينمو ويزدهر مع تقدم الاجتهاد بعيدا عن الأهواء والأغراض من مبدأ نزول القرآن الكريم إلى وقت قيام المذاهب المختلفة .

وفى عهد ظهور المذاهب الأربعة وغيرها جدت حوادث كثيرة للمسلمين فأخذ كل إمام ينظر إليها تحت ضوء الكتاب والسنة وغيرهما من مصادر التشريع الإسلامى ثم يحكم عليها بالحكم الذى ينقدح فى ذهنه ، ويعتقد أنه هو الحق الذى يقوم على الأدلة والبراهين .

ثم خلف لأصحاب هذه المذاهب أتباع كان منهم المتعصب وغير المتعصب والمتعصب هو الذى ينظر إلى الآيات القرآنية من خلال مذهبه فينزل هذه الآيات على ما يوافق مذهبه .

وغير المتعصب هو الذى ينظر إلى الآيات القرآنية نظرة خالية من الهوى المذهبى فينزلها على حسب ما يظهر له وينقدح فى ذهنه .

ومن نماذج الكتب المؤلفة فى التفسير الفقهى :

١ — (أحكام القرآن) للجصاص .

٢ — (أحكام القرآن) لابن العربى .

. . .

(التفسير الصوفى)

المقصود به : التأثر بالنظريات والتعاليم الصوفية فى تفسير النصوص القرآنية .

قلت فيما تقدم : إن التفسير الصوفى ينقسم إلى قسمين :

١ - التفسير الصوفى النظرى .

٢ - والتفسير الصوفى الإشارى .

والمقصود بالتفسير الصوفى النظرى : هو النظر إلى القرآن الكريم نظرة تتمشى مع نظريات المتصوفين (أصحاب التصوف النظرى) من محاولة تأويل القرآن الكريم ليكون دليلا على نظريات هذا النوع من التصوف ، والتعسف فى فهم النصوص القرآنية وتفسيرها بما يخرجها عن الظاهر الذى يؤيده الشرع وتشهد له اللغة[1] .

والتصوف النظرى هو الذى يقوم على البحث والدراسة [2] .

والمقصود بالتفسير الصوفى الإشارى : هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك يمكن التوفيق بينها وبين الظواهر المرادة .

وهذا النوع من التفسير للمتصوفين (أصحاب التصوف العملى) .

والتصوف العملى : هو الذى يقوم على التقشف والزهد والتفانى فى طاعة الله سبحانه وتعالى .

---

(١) التفسير والمفسرون للأستاذ الدكتور الذهبى .

(٢) المصدر السابق .

لقد اتسعت الثقافة وازدهرت العلوم وتنوعت وتشعبت واتخذ التصوف على يد أصحابه ناحيتين : (التصوف النظرى - التصوف العملى) كان لهما أثرهما فى تفسير القرآن الكريم ، كما تقدم[1] .

والتفسير الصوفى النظرى مرفوض إلا فى حدود ضيقة جدا .

ولم نسمع بأن أحدا ألف فى التفسير الصوفى النظرى ، كتابا خاصا يتتبع القرآن آية آية ، وكل ما وجدناه من ذلك هو نصوص متفرقة فى التفسير المنسوب إلى ابن عربى ، وفى كتاب (الفتوحات المكية) لابن عربى أيضا وفى كتاب (الفصوص) لابن عربى كذلك ، وفى كثير من كتب التفسير المختلفة المشارب .

. . .

أما التفسير الصوفى الإشارى فإنه تارة يكون مقبولا وتارة يكون مردودا .

فيقبل إذا توفرت فيه الشروط الآتية :

١ - أن لا يكون منافيا للظاهر من النظم القرآنى .

٢ - أن يكون له شاهد شرعى يؤيده .

٣ - أن لا يكون له معارض شرعى أو عقلى .

٤ - أن لا يدعى صاحبه أن هذا التفسير هو المراد وحده دون الظاهر بل لا بد من الاعتراف بالمعنى الظاهر أولا .

ويرفض هذا النوع إذا تخلف شرط من الشروط المتقدمة[2] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) التفسير والمفسرون .

ومن نماذج الكتب المؤلفة فى هذا اللون من التفسير :

١ - تفسير القرآن العظيم للتسترى .

٢ - حقائق التفسير للسلمى .

٣ - عرائس البيان فى حقائق القرآن للشيرازى .

. . .

(التفسير الفلسفى)

هو التأثر بالنظريات الفلسفية فى فهم النصوص القرآنية :

(أ) إما برد تلك النظريات وإبطالها ، إذا كانت فى نظر المفسر متعارضة مع الدين ، ومع القرآن الكريم على الأخص ، كما فعل معارضوا الفلسفة .

(ب) وإما بتفسير النصوص القرآنية تفسيرا يقوم على نظريات فلسفية بحتة لا يمكن أن يتحملها النص القرآنى بأى حال من الأحوال ، كما فعل المولعون بالفلسفة .

لقد نشطت الترجمة فى عهد العباسيين ، وترجمت الكتب المختلفة ، ومنها كتب الفلسفة التى قرأها المسلمون ، فأصبحوا حيالها فريقين :

(ا) فريق لم يتقبلها لأنه وجدها تتعارض مع الدين ، فكرس حياته للرد عليها وتنفير الناس منها ، وعلى رأسى هؤلاء الإمامان : الغزالى ، والفخر الرازى .

(ب) وفريق أعجب بها إلى حد كبير رغم ما فيها من نظريات تبدو متعارضة مع نصوص الشرع وتعاليمه ، وهذا الفريق قد بذل جهدا كبيرا من من أجل التوفيق بين الدين والفلسفة وإزالة ما بينهما من التعارض ، ولكنهم لم يصلوا الا الى حلول وسطى ومن نماذج كتب التفسير المعارضة للفلسفة : (مفاتيح الغيب) للفخر الرازى .

أما بالنسبة للمولعين بالفلسفة الذين تحكمت الفلسفة فى عقولهم فلم نسمع بأن فيلسوفا من هؤلاء ألف لنا تفسيرا كاملا للقرآن الكريم وكل ما وجدناه لهم فى ذلك لا يعدو بعض أفهام قرآنية مفرقة فى كتبهم التى ألفوها فى الفلسفة .

. . .

(التفسير العلمى)

المقصود به تفسير الآيات الكونية على مقتضى أصول اللغة والعلم ونتائج البحث فى الكائنات .

(موقف الاسلام من هذا التفسير)

تارة يكون مقبولا وتارة يكون مرفوضا .

فيقبل إذا توافرت الشروط الآتية :

١ - أن يلاحظ المفسر : أن القرآن الكريم أولا وقبل كل شىء كتاب هداية وإعجاز ، فليس كتاب فلك أو طب أو هندسة أو غير ذلك ، فلا يصح أن تطغى المصطلحات العلمية على هدف القرآن الأساسى .

٢ - مراعاة الوحدة الموضوعية للنصوص القرآنية ، بمعنى جمع النصوص القرآنية التى لها علاقة بموضوع البحث ودراستها دراسة علمية .

٣ - أن تكون معانى النصوص القرآنية على وفق مقتضيات اللغة بمعنى :

(أ) أن يكون التفسير العلمى فى حدود المعانى المحتملة للألفاظ دون نقص أو زيادة .

(ب) وألا يكون فى التفسير العلمى إكراه للنصوص القرآنية وألفاظها وتعسف فى استنباط الحقائق العلمية منها .

(ج) وأن يأخذ المفسر بظاهر المعنى ما لم يمنع منه مانع عقلى أو نقلى .

٤ - أن يكون التفسير العلمى على سبيل الاستئناس والتأييد للنظرية

العلمية وليس على أن النظرية العلمية تحمل معها التأييد لهذا التفسير أو ذاك لأنه فى هذه الحالة يكون قطعا بمراد الله ، فيترتب على ذلك نتائج سيئة ، فالعلم لا يعرف الثبات والاستقرار ، فيجب التنبيه من أول الأمر على أن القرآن الكريم فى عليائه بعيد عن هذه التغيرات والتقلبات . بمعنى أننا نقول : إن هذه النظرية العلمية صحيحة وقد وصلت إلى الحقيقة العلمية لأن فى القرآن ما يشهد لها ويصدقها .

ولا نقول : إن القرآن صادق لأن فيه ما يطابق هذه النظرية أو لأنه اتفق مع هذه النظرية العلمية ، فهذا خطأ فالقرآن صحيح سواء وافق النظرية أم لا ، والقرآن هو المقياس الذى تقاس عليه صحة النظرية ، وليست النظرية هى المقياس الذى يقاس عليه صحة القرآن الكريم .

٥ - أن يكون هذا التفسير أمرا ضروريا بأن يكون طريقا للهداية وأسلوبا للتفاهم مع من لا يعرفون سواه نتيجة لظروف العصر وأساليبه .

وإذا لم تتوافر هذه الشروط كلها أو بعضها كان التفسير العلمى مرفوضا شكلا وموضوعا .

ومن نماذج الكتب التى كتبت فى هذا اللون من التفسير :

١ - التفسير العلمى للشيخ طنطاوى جوهرى ، رحمه الله .

٢ - (رياض المختار) للأستاذ / أحمد مختار الغازى ، رحمه الله تعالى

٣ - (التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن الكريم) للأستاذ / حنفى أحمد .

٤ - (الإسلام والطب الحديث) للدكتور عبد العزيز إسماعيل .

٥ - (سنن الله الكونية) للأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوى ، رحمه الله تعالى .

٦ - ويمكن أن يدخل فى هذه النماذج : التفسير العلمى للدكتور / مصطفى محمود ، الطبيب المعروف .

إلى غير ذلك من الكتب .

(التفسير الأدبي والاجتماعي)

هو لون من ألوان التفسير الذى ظهر فى العصر الحديث ، وهو عبارة عن تفسير النصوص القرآنية تفسيرا يقوم أولا وقبل كل شىء على إظهار مواضع الدقة فى التعبير القرآنى ، ثم بعد ذلك تصاغ المعانى التى يهدف إليها القرآن الكريم فى أسلوب شيق جميل أخاذ قوى رصين ، ثم يطبق النص القرآنى على مافى الكون من سنن الاجتماع ونظم العمران ، وذلك بعيدا عن التأثر باصطلاحات العلوم والفنون التى زج بها فى التفسير دون أن يكون فى حاجة إليها ، ولا يؤخذ منها إلا بمقدار الحاجة ، وعلى حسب الضرورة .

* * *

ومن نماذج الكتب المؤلفة فى هذا اللون :

١ - تفسير المنار ، للسيد / رشيد رضا .

٢ - تفسير المراغى لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ المراغى - رحمه الله تعالى .

٣ - تفسير الأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم لفضيلة الشيخ / محمود شلتوت .

٤ - فى ظلال القرآن - للاستاذ / سيد قطب - رحمه الله تعالى .

* * *

ملاحظة : يدخل تحت المنهج التحليلى مايسمى بالتفسير المقارن .

والمقصود به : هو بيان الآيات القرآنية على حسب ماكتبه جمع من المفسرين وذلك :

(ا) بأن يعمد الباحث إلى جملة من الآيات القرآنية فى مكان واحد .

(ب) ويستطلع آراء المفسرين فيها ، سواء أكانوا من السلف أو كانوا من الخلف ، وسواء أكان التفسير بالمأثور أم كان تفسيرا بالرأى .

(ج) ويوازن ويقارن بين الاتجاهات المختلفة والمشارب المتنوعة ويبرز جوانب كل مفسر فى تفسيره .

(د) ويعلق على ماينقله مبينا ماهو مقبول وما ليس بمقبول بالأدلة والبراهين .

* * *

ومن نماذج الكتب التى ألفت فى هذا اللون فى رأيى تفسير الألوسى المسمى : (روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى) .

فقد استمد تفسيره من أكثر تفاسير من تقدمه من المفسرين ، والإمام الألوسى حيث إنه سلفى العقيدة فإنه كثيرا مايفند آراء المعتزلة والشيعة وغير هؤلاء من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهبه ، وتراه يتعقب الفخر الرازى فى كثير من المسائل ويرد عليه على وجه الخصوص فى بعض المسائل الفقهية إنتصارا منه لمذهب أبى حنيفة ، ويستطرد إلى الكلام فى الأمور الكونية ويذكر كلام أهل الهيئة والحكمة ويقر منه مايرتضيه ويفند مالا يرتضيه .

وقد هاله كثرة الإسرائيليات والأخبار التى لا أصل لها فنقلها من كتب المفسرين لاعن تصديق لها ولاعن شغف بها وإنما نقلها لينبه على خطئها ويحذر من تصديقها ، وهو من أشد الناس عيبا على من توسعوا فى أخذ الأخبار المكذوبة ، ونقلوها فى تفاسيرهم .

ومن يتصفح تفسير الألوسى يجد تصديق ذلك .

ومن هذا المنطلق فإنه يكون من التفسير المقارن .

أما (حاشية الجمل) فإن صاحبها وإن كان ينقل عن كثير من المفسرين

إلا أنه فى الغالب والكثير لا يوازن ولا يقارن بين اتجاهات المفسرين ومشاربهم المختلفة ، ولا يبرز نواحى كل مفسر فى تفسيره ولا يعلو على ما ينقله ، ولا يرجح رأيا على رأى ، ومن هنا فلا تعتبر (حاشية الجمل) من التفسير المقارن .

* * *

(منهج التفسير بالرأى)

يتضح لنا من العرض المتقدم : أن منهج التفسير بالرأى يتجلى فيما يأتى :

١ - إنه تفسير بالاجتهاد .

٢ - تنوع الكتب المؤلفة فى هذا اللون من التفسير لأنها تأثرت بالعلوم التى تفوق أصحابها فيها ، فكان كل مفسر يتجه اتجاها يغاير اتجاه الآخر ، والسر فى ذلك : أن المفسر منهم بالإضافة إلى علمه بالتفسير كان متفوقا فى اللغة أو الفقه ، أو الفلسفة ، أو الفلك ، أو الطب ، أو علم الكلام إلخ وقد ظهرت هذه العلوم فى تفاسيرهم .

فإذا جاء نص قرآنى مثلا له صلة بالعلم الذى تفوق فيه المفسر ذكر معارفه مفسرا بواسطتها النص القرآنى ، فالمتخصص فى البلاغة يتحدث عن الوجوه البلاغية فى النص ، والمتفوق فى الفقه يتحدث بالتفصيل عن الأحكام الشرعية ، والبارع فى علم القراءات يتحدث عنها وعن وجوهها بالتفصيل إلخ .

٣ - بعض الكتب نجد فيها الحديث عن المصطلحات العلمية بكثرة إلى درجة يترك معها المفسر التفسير جانبا ، وذلك كالتفسير العلمى للشيخ طنطاوى جوهرى ، فقد أفاض فيه وبين كثيرا من العلوم المختلفة التى تشير إليها الآيات الكونية ، إلا أنه - رحمه الله تعالى - قد زاد فى هذا البيان حتى جاوز حدود معانى النصوص القرآنية .

ونكتفى بهذا القدر بالنسبة للتفسير الموضعى وأنواعه ، وأتكلم إن شاء الله سبحانه وتعالى عن مقابله فأقول وبالله تعالى التوفيق :

الفصل الثالث

فى تفصيل (الكلام على المنهج الموضوعى وأنواعه) :

الموضوعى نسبة إلى الموضوع المأخوذ من الموضع ، فالتفسير الموضوعى الملاحظ فيه هو موضوع البحث ولكن لا يمكننا بحث الموضوع إلا إذا فهم الموضع والمكان الذى يؤخذ منه توضيح هذا الموضوع ، وهو عبارة عن النصوص القرآنية التى تعالج الموضوع .

وهذا الموضوع إما أن يكون كليا أو مطلقا ، وإما أن يكون جزئيا أو مقيدا ولهذا - كما تقدم - فقد قسمت التفسير الموضوعى إلى قسمين : التفسير الموضوعى المطلق أو الكلى ، والتفسير الموضوعى الجزئى أو المقيد .

(التفسير الموضوعى الكلى أو المطلق)

المقصود به : استقصاء آيات القرآن الكريم التى اشتركت فى موضوع واحد وإفرادها بالدرس والبحث :

بمعنى : أنى أختار موضوعا من موضوعات القرآن الكريم أقصد إلى دراسته دراسة موضوعية ، ثم أقوم بجمع الآيات كلها التى تدور حول الموضوع القرآنى سواء أكانت الآيات مكية أم مدنية ، ثم أرتب هذه الآيات حسب نزولها على النبى صلى الله عليه وسلم مع معرفة أسباب النزول ثم أكمل الموضوع بما ورد فيه من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم إن احتاج الأمر إلى ذلك حتى يكمل له هيكله ويزداد وضوحا وبيانا ثم أكون الموضوع بأن أجعله فى إطار متناسب وهيكل متناسق ، تام البناء متكامل الأجزاء ، قائم الأركان ، ثم أقوم بدراسة نصوص الكتاب والسنة الخاصة بهذا الموضوع المختار للدراسة - أقوم بدراستها

دراسة موضوعية متكاملة ، تجانس بينها ، وتوفق بين عامها وخاصها ومطلقها ومقيدها ، وتوفق بين ماتعارض منها فى الظاهر وتحكم بناسخها على منسوخها حتى تلتقى هذه النصوص فى مصب واحد ، دون تباين أو اختلاف ، ودون حمل لبعض الآيات على معان لا تتحملها ، مثل (وحدانية الله فى القرآن) و (إثبات الرسالة فى القرآن) ومثل : (إثبات البعث والجزاء فى القرآن) ومثل (النظام الاجتماعى فى القرآن) و (العلاقات الإنسانية فى القرآن) الخ .

ومن هذا العرض نفهم سر تسميتى لهذا النوع بالكلى أو المطلق ، لأنه لا يقتصر على نصوص سورة معينة ، وإنما يشمل آيات الموضوع فى القرآن الكريم كله .

وهذا النوع هو الذى يتبادر إلى الذهن عند إطلاق اسم التفسير الموضوعى بمعنى أننى إذا قلت : التفسير الموضوعى ، فإن هذا الاسم ينصرف إلى هذا المعنى المتقدم وينقدح فى ذهن السامع المثقف عند أول وهلة .

. . .

ومن نماذج الكتب التى كتبت فى هذا اللون :

١ - (القرآن والقتال) .

٢ - (القرآن والمرأة) كلاهما لفضيلة الامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت رحمه الله تعالى .

٣ - العقيدة من القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة .

٤ - الألوهية والرسالة فى القرآن الكريم للأستاذ محمد محمد السماحى

٥ - التفسير الموضوعى لفضيلة الأستاذ الدكتور أحمد السيد الكومى وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم .

٦ - الربا فى القرآن للأستاذ المودودى .

٧ - الإنسان فى القرآن الكريم للدكتور أحمد إبراهيم مهنا .

٨ - مقومات الإنسانية فى القرآن الكريم للدكتور أحمد مهنا أيضا .

٩ - آيات القسم فى القرآن الكريم للدكتور أحمد كال المهدى .

١٠ - المرأة فى القرآن الكريم للأستاذ / عباس محمود العقاد .

١١ - الفتوحات الربانية فى التفسير الموضوعى للآيات القرآنية للأستاذ الدكتور الحسينى أبى فرحه .

١٢ - دراسات فى التفسير الموضوعى لصاحب البحث الفقير إلى عفو ربه .

ومن الباحثين من كتب فى الحروف المقطعة ، ومنهم من كتب فى قصص القرآن الكريم ، ومنهم من كتب فى آيات الطلاق ، ومنهم من كتب فى آيات الميراث ومنهم من كتب فى آيات الحدود .

إلى غير ذلك من الكتب .

(التفسير الموضوعى الجزئى أو المقيد)

هذا اللون من التفسير الموضوعى هو الذى يتعلق بموضوعات سورة معينة ..

وقد ذكرت أن هذا اللون الجزئى من التفسير الموضوعى ينقسم إلى قسمين :

الأول : التفسير الموضوعى للسورة كلها ، وهو عبارة عن تقسيم السورة إلى موضوعات بمعنى : أننى أختار سورة من سور القرآن الكريم وأبين ما تشتمل عليه من موضوعات ومقاصد وأهداف ثم أدرج نصوص كل موضوع تحت موضوعها الخاص بها وأقوم بدراسة هذه النصوص .

كأن تقول مثلا : سورة الأنعام تعالج ثلاثة موضوعات رئيسية :

الألوهية ، والرسالة ، والسمعيات ، ثم أبين نصوص كل موضوع وأقوم بدراستها .

وإذا قلت مثلا : إن سورة الفاتحة مشتملة على موضوعات عدة ، على أصول الدين ، وفروع الدين ، والأخلاق ، والتبشير والإنذار ، وقصص الأولين ، وإيقاظ الشعور الباطنى فى الإنسان إلخ . ثم بينت نصوص كل موضوع ، وقمت بدراسة هذه النصوص وبينت أن هذه الموضوعات على الرغم من اختلافها ، فإن بينها تناسبا وارتباطا فإن هـــذا يعتبر فى نظرى تفسيرا موضوعيا جزئيا أو مقيدا للسورة القرآنية ، أما أنه موضوعى فلأن الهدف منه بيان موضوعات السورة ، وأما أنه جزئى أو مقيد فلأنه لا يشمل نصوص القرآن كلها كما فى النوع الأول وإنما يختص بموضوعات سورة معينة ، كما مثلنا .

ومن هذا المنطلق يمكننى أن أعرف التفسير الموضوعى للسورة القرآنية بأنه عبارة : عن الكلام على السورة القرآنية ككل ، مع بيان أغراضها العامة والخاصة ، وما فيها ، مع بيان ربط الموضوعات بعضها ببعض حتى تبدو السورة ، وهى فى منتهى الدقة والإحكام (١)

والحق : أن التفسير الموضوعى للسورة القرآنية ليس بالأمر الجديد ، ولا بالأمر الغريب ، فقد تعرض الأقدمون لبيان الأهداف والمقاصد للسور القرآنية .

فقد كشف العلامة الفخر الرازى عن أسرار هذا اللون من التفسير ، وله مجهود عظيم فى هذا المضمار .

(١) الوحدة الموضوعية فى القرآن الكريم لفضيلة الدكتور محمد محمود حجازى رحمه الله ، وهى رسالة دكتوراه فى التفسير وعلومه ص ٢٤ ، الطبعة الأولى عام ١٣٩٠هـ ١٩٧٠ دار الكتب الحديثة - مطبعة المدنى .

ومن هؤلاء : العلامة : الفيروز بادى فى كتابه : (بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز) وقد طبعه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة بتحقيق العلامة محمد على النجار .

وفى مطلع القرن العشرين ظهر تفسير المنار للسيد رشيد رضا الذى استمده من دروس أستاذه الإمام محمد عبده رحمهما الله تعالى ، وكان الإمام محمد عبده مصلحا ومجتهدا وإماما من أئمة التفسير والفتوى ، وكان له فى التفسير نظرات صائبة ومنهج قويم يعتمد على عدة أسس من بينها : الوحدة الموضوعية للسورة ، وأن فكرة السورة يجب أن تكون أساسا فى فهم آياتها والموضوع يجب أن يكون أساسا فى فهم الآيات التى نزلت فيه ، وتأثر بالإمام تلميذه النجيب السيد رشيد رضا ، فكان يتبع تفسير كل سورة بملخص لأهم موضوعاتها وقضاياها .

وتأثر بتفسير المنار أساتذة التفسير فى العصر الحديث مثل فضيلة الامام الأكبر الأستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى ، رحمه الله تعالى ، وفضيلة الامام الأكبر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت ، رحمه الله تعالى ، فله تفسير للأجزاء العشرة الأولى من القرآن الكريم حاول فيه أن يوضح أهداف السورة وأغراضها ومقاصدها .

وللأستاذ / سيد قطب ، رحمه الله تعالى : جهد بارز ونظر نافذ فى الإحاطة بأفكار كل سورة وأهدافها وموضوعاتها ، إنه يقدم فكرة عامة عن السورة كتفسير موضوعى لها قبل تفسيرها تفسيرا موضعيا يستطيع القارىء من خلاله أن يرى وحدة فكرية للسورة ، وذلك فى كتابه : (فى ظلال القرآن) فرحمه الله تعالى رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى وطيب الله ثراه .

وكان الأستاذ الدكتور الشيخ محمد عبد الله دراز يفتح عيون الطلاب

أثناء الدراسة الجامعية على موضوع السورة وفكرتها العامة كتفسير موضوعى لها قبل تفسيرها تفسيرا موضعيا ، ويرى أن هذه النقطة غفل عنها جميع المستشرقين فضلا عن بعض علماء المسلمين[1] .

ولقد اتضح أن هناك تخطيطاً حقيقياً واضحا ومحددا للسورة يتكون من ديباجة وموضوع وخاتمة ، ولا جدال فى أن طريقة القرآن هذه ليست لها مثيل على الإطلاق فى أى كتاب فى الأدب أو فى أى مجال آخر يمكن أن يكون قد تم تأليفه على هذا النحو ، وإذا كانت السورة القرآنية من نتاج ظروف النزول تكون وحدتها المنطقية والأدبية معجزة للمعجزات .

وليس المقصود بوحدة الموضوع للسورة أن السورة بحث فى كتاب أو فصل فى باب ، أو موضوع مستقل ، لأن هناك فارقا كبيرا بين منهج القرآن الكريم ومنهج التأليف عند الناس ، فالقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد يسلك إلى النفوس طريقها ويتخولها بالموعظة بين الحين والآخر ولكنه جعل لكل سورة موضوعا غالبا عليها وسمات بارزة فيها ، قال العلامة الشاطبى (إن السورة الواحدة مهما تعددت قضاياها فهى تكون قضية واحدة ، تهدف إلى غرض واحد ، أو تسعى لإتمامه ، وإن اشتملت على عديد من المعانى[2] .

إن هذه الطريقة فى الدراسات القرآنية أجدى على الناس من تتبع الآيات آية بعد آية بحسب ورودها فى السورة ، ومن تتبع جمل كل آية ، وكلمات كل آية ، وأحيانا حروف كل آية أيضا ليدرس كل ذلك على نحو من التطويل

(١) أهداف كل سورة مقاصدها فى القرآن الكريم للاستاذ الدكتور عبد الله محمود شحاته ص ٥ .

(٢) الموافقات للامام الشاطبى حـ ٣ ص ٢٤٩ ، المسألة الثالثة عشرة .

أو الإيجاز أو على نحو من التفصيل أو الاجمال فإن ذلك لا يعطى المنظر العام ولا يساعد على تصور عظمة الصورة فى السورة القرآنية مجتمعة الملامح ، منضمة التقاسيم ، كاملة الوضع »[1] .

إن هذه النظرة العامة للسورة تبرز شخصيتها وتجعل القارىء يتعرف على فكرتها العامة ، وتتبع موضوعاتها داخل الاطار العام المميز لها عن غيرها .

ومن الكتب المؤلفة فى هذا اللون أيضا : (التفسير الواضح) لفضيلة الدكتور محمد محمود حجازى ، رحمه الله تعالى ، وكتاب : (أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم) لفضيلة الدكتور عبد الله محمود شحاته .

وللعبد الفقير صاحب البحث كتاب : (دراسات فى التفسير الموضوعى) ففيه قواعد عامه فى التفسير الموضوعى ونماذج للتفسير الموضوعى الكلى أو المطلق ، ونماذج للتفسير الموضوعى للسور القرآنية .

النوع الثانى للتفسير الموضوعى الجزئى أو المقيد ، هو التفسير الموضوعى لموضوع معين فى سورة معينة ، كأن نقول : الكلام على حد القذف فى ضوء سورة النور ، وكأن نقول : الكلام على موضوع غض البصر وحفظ الفرج فى سورة النور ، وكأن نقول : موقف الاسلام من عادة التبنى كما تصورها سورة الأحزاب ، وكأن نقول : بيان صفات المؤمنين فى سورة (المؤمنون) وكأن نقول : الكلام على قصة سيدنا موسى عليه السلام فى سورة القصص الخ

وهذا النوع أخص من الذى قبله ، لأن ما قبله المقصود منه بيان كل موضوعات السورة ، أما هذا النوع المقصود منه بيان موضوع واحد معين فى سورة معينة أيضا .

وقد اعتبرت هذا النوع من التفسير الموضوعى لأن الهدف منه

(١) مقدمة كتاب (المجتمع الإسلامى كما تصوره سورة النساء) الشيخ محمد المدنى

توضيح موضوع معنون بعنوان ، كما هو واضح فى الأمثلة المتقدمة ، وأما أنه جزئى أو مقيد ، فلأنه موضوع واحد معين فى سورة واحدة معينة كما ذكرت .

الفصل الرابع) فروق وعلاقات

(الفرق بين التفسير الموضعى والموضوعى للسورة القرآنية)

١ - يلتزم المفسر فى التفسير الموضعى بالترتيب التوفيقى للآيات والسور القرآنية كما هو فى المصحف .

أما فى التفسير الموضوعى للسورة فإن المفسر يبين الموضوعات والمقاصد والأهداف والقضايا التى اشتملت عليها السورة ويربط الموضوعات بعضها ببعض كما تقدم .

٢ - يلتزم المفسر فى التفسير الموضعى بتفسير النصوص القرآنية التى يريد تفسيرها على ضوء المنهج الذى اختاره . .

أما فى التفسير الموضوعى للسورة فإن المفسر يلتزم ببيان الأهداف العامة والخاصة والموضوعات الكلية والجزئية للسورة والوحدة الموضوعية فيها ولا يلتزم بتفسير النصوص القرآنية ، فإن فسر فيها ونعمت وإن لم يفسر فلا شىء عليه ، ولكن عليه أن يبين معانى الكلمات الصعبة إن وجدت .

* * *

(الفرق بين التفسير الموضعى والموضوعى الكلى)

إذا أريد من التفسير الموضوعى معناه المطلق أو الكلى بمعنى استقصاء الآيات القرآنية التى تدور حول موضوع واحد ، وإفرادها بالبحث والدرس يكون الفرق بينه وبين التفسير الموضعى مطلقا سواء أكان تحليليا أم إجماليا

بالمأثور أو بالرأى وسواء أكان مقارنا أم غير مقارن ، يكون الفرق بينهما على النحو التالى :

١ — يلتزم المفسر فى التفسير الموضعى بالترتيب المصحفى .

أما فى التفسير الموضوعى المطلق أو الكلى ، فلا يلتزم بالترتيب المصحفى بل يلتزم ترتيب آيات الموضوع الذى يعمد إلى بحثه ودراسته حسب نزولها على النبى صلى الله عليه وسلم .

٢ — يتعرض المفسر فى التفسير الموضعى لبحث موضوعات متعددة بحسب مايرد فى السور أو الآيات التى يتعرض لتفسيرها بأى منهج من المناهج سواء أكان تحليليا أم إجماليا أم مقارنا إلخ .

أما فى التفسير الموضوعى الكلى أو المطلق ، فإن المفسر لا يتعرض إلا لموضوع واحد وهو الذى يريد دراسته وبحثه ، بالإضافة إلى ما يتصل به من أبحاث تخدم هذا الموضوع .

٣ — يتمكن الباحث فى التفسير الموضوعى من دراسة موضوعات كثيرة يمكن أن تنظم على هيئة أبحاث مستقلة ، وينفرد بعضها عن بعض بالبحث والدراسة كل موضوع تحت عنوان خاص .

أما فى التفسير الموضعى بأى منهج من المناهج ، فإن الموضوعات فيه متصلة بعضها ببعض ، ولا يمكن أن تنفصل بأى حال من الأحوال .

٤ — يتعرض المفسر فى التفسير الموضعى لتفسير النصوص القرآنية بما يتفق والمنهج الذى اختاره .

أما فى التفسير الموضوعى فلا يفسر النصوص القرآنية إلا بالقدر الذى يحتاجه للوصول إلى هدفه وكشف ماخفى من موضوعه :

* * *

وفى رأيي : أن بيان الفرق على النحو المتقدم هو الصحيح : أى أن الموازنة تكون بين التفسير الموضوعى والموضعى ، لأن الموضوعى هو الذى يقابل الموضعى ، ويكون قسيما له ، بأى منهج من مناهجه ، سواء أكان الموضعى تحليليا أم إجماليا أم مقارنا ، وسواء أكان بالمأثور أم بالرأى والاجتهاد إلخ هذه الأنواع المتقدمة .

ومن هذا المنطلق ، فلا يصلح أن نعقد الفرق بين الموضوعى والتحليلى أو بين الموضوعى والإجمالى ، أو بين الموضوعى والمقارن ، لأن الموضوعى لا يقابل بالتحليلى ، ولا بالإجمالى ، ولا بالمقارن .

فهذه الأنواع : (التحليلى والإجمالى والمقارن) وغيرها مما تقدم تندرج تحت جنس عام هو التفسير الموضعى ، كما ذكرت فيما تقدم .

* * *

الفرق بين التفسير الموضوعى الكلى ، والجزئى)

١ - التفسير الموضوعى الجزئى يرتبط بأهداف وموضوعات سورة معينة كأن تقول : التفسير الموضوعى لسورة الأنعام ، أو لسورة النور ، أو لسورة الأحزاب إلخ أو تقول : بيان حد القذف فى سورة النور ، أو بيان موضوع التبنى فى سورة الأحزاب إلخ .

أما التفسير الموضوعى الكلى أو المطلق ، فإنه لا يرتبط بموضوعات سورة معينة ، وإنما يرتبط بالقرآن الكريم فى مجموعه : أى الموضوعات تدرس وتبحث فى ضوء النصوص القرآنية على وجه العموم وليس فى ضوء سورة معينة ، وكل موضوع يدرس ويبحث على وجه الاستقلال كما تقدم ، مثل : (الإيمان

والمؤمنون فى القرآن الكريم) و (الجهاد فى القرآن الكريم) (الاقتصاد فى القرآن الكريم) (العلاقات الدولية فى القرآن الكريم) إلخ .

* * *

(العلاقة بين التفسير الموضعى ، والموضوعى بنوعيه)

على الرغم من الفروق التى ذكرتها فيما تقدم بين التفسير الموضعى والموضوعى بنوعيه - على الرغم من ذلك فإن بين المنهجين ارتباطا وثيقا وعلاقة قويه على النحو التالى :

١ - التفسير الموضوعى للسورة بمثابة الوسيلة أو المقدمة أو السبب .

أما التفسير الموضعى لها فإنه بمثابة الغاية أو المقصد أو المسبب .

وتوضيح ذلك : أن تفسير السورة القرآنية تفسيرا موضوعيا : أى دراستها دراسة عامة كلية عن طريق بيان أهدافها ومقاصدها وموضوعاتها والربط بين هذه الأمور هذا التفسير يساعد على تفسير السورة بعد ذلك تفسيرا موضعيا : أى توضيحها ودراستها آية آية على حسب الترتيب المصحفى ، ويكون ذلك أدعى إلى فهم السورة واستيعابها ، بخلاف ما إذا فسرنا السورة من أول الأمر تفسيرا موضعيا ، فإن ذلك يؤدى إلى صعوبة تحصيلها عند القارىء ويرتكب مشقة كبيرة فى سبيل الحصول على ذلك .

ومن أجل ذلك فإن بعض الباحثين فى العصر الحديث عندما يشرع فى تفسير سورة من السور القرآنية تفسيرا موضعيا آية آية حسب ترتيب المصحف فإنه يقدم لذلك ويمهد بتفسير للسورة تفسيرا موضوعيا عاما فيقدم تعريفا للسورة ، وتسميتها ، وتاريخ نزولها ، وهل هى مكية أم مدنية وموضوعاتها وقضاياها ، وأهدافها العامة والخاصة والوحدة الموضوعية لها ، ثم يشرع بعد ذلك فى تفسيرها تفسيرا موضعيا حسب المنهج الذى اختاره سواء أكان تحليليا

(٩ — الحولية)

أم إجماليا مقارنا أو غير مقارن ، بالمأثور أم بالرأى ، إلخ ، كى يسهل على القارىء فهم السورة واستيعابها .

* * *

٣ - وأيضا فإن التفسير الموضوعى للسورة بمثابة المقدمة أو الوسيلة أو السبب ، والتفسير الموضوعى الكلى أو المطلق بمثابة الغاية أو المقصد أو المسبب .

وتوضيح ذلك : أننا لا نعرف موضوعات القرآن الكريم إلا إذا عرفنا موضوعات كل سورة فيه ، لأن معرفة الكل لا تأتى إلا بمعرفة أجزائه أولا فإذا عرفت الأجزاء عرف الكل .

* * *

خاتمـــة

من أهم نتائج البحث :

لعل من أهم نتائج هذا البحث أنه يعرف القارىء وجها من أهم وجوه الإعجاز القرآنى ، وهو أن القرآن الكريم أمكن تفسيره بكل منهج من هذه المناهج المتقدمة والمكتبة الإسلامية القرآنية مليئة بشتى المراجع فى كل منهج من هذه المناهج فليس هناك كتاب غير القرآن الكريم يمكن تفسيره بكل هذه المناهج فهذا نوع من أنواع الإعجاز الذى تفرد به القرآن الكريم دون سائر الكتب (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب) .

هذا وبالله التوفيق ؟